المنسوب الى فعله ومعناه على ما قررناه سابقا انه ان شاء فعل وان شاء ترك واما
تفسيره بمعنى القصد الى الفعل والرضا بما يفعل فقد اشرنا سابقا الى بطلانه واعلم
ان الوجود الممكن باسره ليس في شيء منه اضطرار ولا جبر لانا نعني بترجيح جانب الفعل
عند الفاعل بحيث يتعين عنده الفعل بحيث لا يترك الا انه قادر على تركه ولكنه لا يتهيأ
من ثم عين الفعل على نفسه وذلك لغلبة شهوته على جهة الفعل وكذا كل ذرة من ذرات
الوجود من كلي او جزئي او كل او جزء من ذات وفعل وصفة او موصوف او عرض او
معروض مختار لانها اثر المختار واثر المختار مختار لانه مشابه لصفة مؤثره وهذه
الحقيقة اعني الاختيار بمعنى ان شاء فعل وان شاء ترك اشترك فيها جميع ما خلق الانسان
والجماد وما بينهما من انواع الحيوانات والنباتات والمعادن وما بين جميعها من
البرازخ الا انه كلما قرب من الفعل الذي هو امر الله الفعلي ومن امر الله الفعلي ومن
امر الله المفعولي كان اقوى اختيارا لاجل قرب مشابهته لصفة مؤثره واظهر بمعنى ظهور
اختياره كما هي في الانسان فان الاختيار فيه اقوى منه في الحيوان وفي الحيوان
اقوى منه في النبات وهكذا حتى يتوهم من لم يقف ببصره على هذه الحقيقة ويعثر بلطيف
حسه على هذه الدقيقة ان النباتات والجمادات غير مختارة بل الحيوانات العجم مع
انه يسمع كلام الله ينطق باختيارها كما قال في السماء والارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وان من شيء الا يسبح بحمده ومثل ذكر الضمائر العائدة اليهم
بضمائر العقلاء وقد تقدم بعض بيان ذلك وكيف يسمع السنة المتونية المطهرة بتكليف
الجمادات والنباتات ومعاقبتها على المخالفة وما الحجا جال من ينكر ذلك ولا يقبل
الغريب ممن يعرف وما هو الا كما عن الشاعر بقوله: اذا كنت ما تدري ولا انت بالذي
يطيع الذي يدري هلكت ولا تدري، ولعجب من هذا بانك ما تدري، وانت لا تدري
بانك ما تدري، وكلما بعد من الفعل كذلك كان اضعف اختيارا وذلك مثل الجماد

واخفى

واخفى اختيارا حتى ان من يعرف يرى انها ليست مختارة اصلا فانه يرى ان الانسان
يتصرف في الجمادات والنباتات كيف يشاء ولا يمتنع عليه منها شيء ولم يتفطن في
نفسه مع انه لا ينكر كونه مختارا مع ان القدر يجري عليه وهو لا يشعر ويفعل الله به ما
يشاء وهو لا يعلم كما قال عز من قائل والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون فهو مع اختياره بالنسبة الى من فوقه بحكم الجماد فليعتبر هذا في اختيار الجماد
بالنسبة الى اختياره ومثال ذلك كالنور المشعشع عن المنير هو شيء واحد ولكن اجزاءه
متفاوتة فكل ما قرب من المنير كالسراج مع اشعته كان اشد نورا واقوى اظهارا
لغيره وظهورا في نفسه وكل ما بعد من السراج كان اضعف اظهارا لغيره واضعف
ظهورا في نفسه اي اخفى وهذا مثل خلقه الله للوجود الكوني وانبساطه في مراتب الفعل
فان وجود الانسان ووجود الجماد وما بينهما كله فائض عن الفعل مثل نور السراج
فانه فائض عن السراج فكما ان نور السراج متساوي الاجزاء في مطلق النورية وفي
الطبيعة وانما اختلف في الشدة والضعف من جهة قربها من السراج وبعدها والقرب
والبعد هو من متممات قابليتها للاستنارة من المنير ويختلف باختلاف قوة المتمم وضعفه
كذلك اجزاء الوجود الكوني فان اختلاف مراتبه من متممات قابليات اجزائه فيختلف الاجزاء
باختلاف قوتها وضعفها مع تساويها في مطلق قابلية صفاته من النورية والاختيار و
الشعور والادراك واختلاف هذه الصفات فيها باختلاف القرب والبعد عن الفعل
وهكذا حكم تفاوت مراتب الوجود حتى ينتهي الى ابعد اثر من الفعل فيخفى الاختيار لخفاء
وجودها فما دام شيء من التحقق ثابتا فالادراك والشعور والاختيار ثابت بنسبته بحقيقة
بل هي مقتضى الكون فلا يوجد ما لم يوجد بل حيثما عدم الاختيار عدم الوجود وبالعكس
وهكذا كل ذاتي او عرض كل بحسبه قلت ومما يرى من المجبول كثير والحجر الذي لا يقوى
ظاهرا على الصعود فاعلم ان الله سبحانه وكل به ملكا يضعه حيث امر الله وذلك مثلا كن في

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)